المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 18 -- العدد 01 -- جوان 2026 ص 158 - 186

المنظومة المعرفية في مصر الفرعونية (الأدوات، الوسائل، المصادر والمؤسسات)

The cognitive system in Pharaonique Egypt. (Tools, means, sources and institutions)

أم الخير العقون - أستاذ التعليم العالي oumelkheirlaggoun@ymail.com	التاريخ وعلم الآثار	جامعة وهران 1/ الجزائر

DOI :

الإرسال: 2025/09/20 **القبول**: 2025/11/02 **النشر**: 2026/06/20

ملخص:

في وقت مبكر جدا، بزغ نور الحضارة الفرعونية وكانت واحدة من أكثر الحضارات تميزا وتقدمًا في مجالات المعرفة والعلوم، فأثرت بذلك على المسار الفكري للأمم المعاصرة لها واللاحقة بها. وقد قام هذا التقدم الحضاري على سلسلة من الابتكارات والإنجازات؛ فلما شعر قدماء المصريين بالخوف من ضياع أفكارهم ومعارفهم، بحثوا عن وسيلة للحيلولة دون ذلك. فكانت الكتابة، الكتب والمكتبات. كتب المصريون القدامى في شتى الموضوعات وكانت أبرز كتاباتهم في المجال الديني، فكُتُب الموتى تُعد من أشهر الكتابات الدينية في الحضارة الفرعونية. كما كتبوا في أصناف أخرى من المعارف منها الأدب، الشعر، الملاحم، الهندسة والطب والتحنيط. ولنقل هذا الرصيد المتنوع والثمين من المعرفة بين الأجيال وللحفاظ عليه، أنشأ قدماء المصريين مؤسسات ساهمت في ترسيخ المعلومات عن طريق التدريس، بالإضافة إلى حفظ وتخزين المعرفة في فضاءات هي ما نُعرفه اليوم بالمكتبة وبفضل هذه الإنجازات تكونت منظومة معرفية متكاملة.

الكلمات المفتاحية: الكتابة؛ المخطوط؛ دار الحياة؛ المكتبات؛ منظومة المعرفة

Abstract:

From an early stage, Pharaonic civilization distinguished itself as one of the most Advanced in the fields of knowledge and science. It had a lasting impact on the intellectual development of both contemporary and later societies, thanks to its remarkable innovations and achievements. To protect their ideas and accumulated knowledge, the ancient Egyptians developed writing systems, books, and libraries. Their writings covered a wide range of subjects, especially religion, as well as literature, poetry, architecture, medicine, and mummification. To preserve and transmit this wealth of knowledge across generations, they established institutions focused on education and the systematic storage of information. These efforts led to the formation of an integrated and enduring knowledge system.

Keywords: Ecriture ; Manuscrit ;Dar-el Hayat ; Bibliothèques ; Système de connaissances

مقدمة:

تعتبر الحضارة المصرية الفرعونية واحدة من أكثر الحضارات تميزا وتقدمًا في مجالات المعرفة والعلوم وقد أثرت على المسار الفكري للأمم المعاصرة لها واللاحقة بها.

ومن هذا المنطلق، يقوم البحث في مسألة المنظومة المعرفية في مصر الفراعنة، هل كانت طفرة وتغييرا مفاجئا في مسار الحضارة، أم كانت عملية نوعية تطورية ساهمت فيها عوامل وأسباب متشابكة؟

وإذا رجعنا إلى القواميس لتعريف مصطلح حضارة وتميز حضاري، نجد من الصعوبة بمكان الاتفاق حول تعريف واحد، فكلُ يعرّفه منطلقا من أيديولوجيته وهويته (معتقده، لغته وانتمائه)، لكن لا يختلف اثنان بأن كل منتوج حضاري إنما هو ثمرة تفاعل جماعة بشرية معينة مع بيئة معينة ببذل جهد ذهني وعضلي لتلبية حاجات أساسية وكمالية.

وإيمانا منا بهذه الحقيقة، نقول بأن التقدم الحضاري في مصر الفرعونية، قد قام على سلسلة من الابتكارات والإنجازات؛ فلما شعر قدماء المصريين بالخوف من ضياع أفكارهم ومعارفهم لما لذلك من أثر في انقطاع نقل المعرفة بين الأجيال، بحثوا عن وسيلة للحيلولة دون ذلك.

ألم يكن اختراع الكتابة في دولة الفراعنة هو اللبنة الأساس في هذه العملية المعرفية؟

فمن أعظم ما قام به المصريون القدامى للحضارة البشرية هو التوصل الى وسيلة التدوين، وبالاستناد إلى هذا الاختراع العظيم، قامت منظومة معرفية متكاملة. وبالرجوع إلى النصوص القديمة والبحث في هذه المنظومة التطورية ، تمكنا من تقسيم البحث إلى مباحث ثلاثة متتالية : أولها أدوات و وسائل المعرفة ، متمثلة في استخدام الكتابة الهيراطيقية لتوثيق المعلومات على حامل جديد تمثّل في ورق البردي بالإضافة إلى الفرشاة المصنوعة من البوص ، ثانيها إنشاء مؤسسات ساهمت في ترسيخ المعرفة(التعليم) ، بالإضافة إلى حفظ وتخزين المعرفة (المكتبات) ونقلها عبر الأجيال بشكل منظم ومنهجي، وثالثها هو اختيار نموذجين من مصادر المعرفة ، ممثلة في أقدم مخطوط في تخصص

الطب ، وآخر يعتبر أطول مخطوط مصري تم اكتشافه لحد الساعة و هو وثيقة دينية اقتصادية .

حرص المصريون القدماء على توثيق أفكارهم خوفًا من ضياعها أو اندثارها، لما لذلك من أثر في انقطاع نقل المعرفة بين الأجيال. ونظرًا لارتباط الفكر في مراحله الأولى بالدين والعقيدة، فقد اتسمت الكتابة المصرية بطابع المقدس، وكان استخدامها بارزًا بشكل خاص في المجالات الدينية.

ولم يكن اختراع الكتابة حدثًا فجائيًا(حينيا)، بل ثمرة تطور طويل وأطوار متعاقبة من المحاولات إلى أن تبلورت في شكلها النهائي. وتعد أقدم الشواهد التي تم اكتشافها حتى اليوم من قِبل علماء الآثار[1]، بقايا كتابات مصرية تصويرية تعود إلى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد والتي وصلت إلى درجة عالية من النضج مع بداية الألف الثالثة قبل الميلاد. وقد أطلق عليها الإغريق لاحقًا اسم "الهيروغليفية" أي "النقش المقدس"، هيرو بمعنى مقدس، و*غليفي* بمعنى نقش. (سارتون، ج، ج1، 1991، 85)

استخدمها المصريون القدامى لتسجيل "نصوص الأهرام" على جدران مقابر الفراعنة في الدولة القديمة. وكانت هذه النصوص عبارة عن كتابات قصيرة الحجم، تضم تعاويذ تهدف إلى مساعدة المتوفى في العبور الآمن إلى عالم الخلود. وبسبب صعوبة نقش هذه النصوص على الحجارة، اقتصر استخدامها في البداية على قبور الفراعنة دون غيرهم. ومع مرور الوقت، ظهرت الحاجة إلى أسلوب كتابة أكثر سرعة وكفاءة، فابتكروا الكتابة الهيراطيقية.

1-أدوات و وسائل توثيق المعرفة

1- تشير الشواهد الأثرية الحالية إلى أن أقدم النصوص الكتابية المعروفة ظهرت في بلاد الرافدين أواخر الألف الرابع ق.م، بينما ظهرت الكتابة المصرية في فترة متقاربة جدًا ، مما جعل بعض الباحثين يناقشون أسبقية العراق أو تزامن التجربتين تقريبا .

1-1 الكتابة الهيراطيقية:

منذ الأسرات الأولى من عهد الدولة الفرعونية، وبينما كانت الكتابة الهيروغليفية في طور النشأة، طوّر الكُتّاب المصريون شكلا خطيا من هذه الكتابة، يسمى" الهيراطيقية". وقد كان هذا الإنجاز ضرورة مُلحة داخل مجتمع ناشئ حيث كان التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي مدعوما بنظام حفظ السجلات والوثائق(الأرشيف) والمحاسبة (بوزنر، ج،2001، 280)

وتُعد الكتابة الهيراطيقية أحد أبرز تطورات نظام الكتابة المصرية القديمة، تميزت بكونها أبسط في الشكل وأسرع من حيث الكتابة، مما سهل استخدامها في الحياة اليومية والإدارية وبها دوّن المصريون القدامى النصوص الطويلة على وسائط متعددة غير الحجارة، مما ساهم في نشر المعرفة وتوسيع استخدامها بين مختلف فئات المجتمع، لكن هذا الابتكار (أي تطور الكتابة) زاد أهمية بابتكار آخر، ألا و هو إيجاد مادة صالحة للكتابة متمثلة في ورق البردي الذي ينمو بكثرة على ضفاف نهر النيل ، فساهم هو الآخر في عملية توثيق ونقل المعرفة عبر العصور.

1-2 ورق البردي:

كان ورق البردي أحد أهم الاختراعات المصرية القديمة، حيث وفر بديلًا عمليًا للألواح الطينية والحجرية. وقد صنعه المصريون القدامى من لُبِّ سيقان نبات البردي، إذ كان هذا اللّب يقطع في سيور طويلة توضع متعارضة في طبقتين أو ثلاثة على شكل صليب ثم تُبلّل بالماء ثم تضغط وتصقل. وفي مرحلة أخيرة يتمّ لصق هذه الأوراق بعضها ببعض.
وعلى هذا الحامل الجديد (البردي) دوّن الكاتب المُتمرن [1] منتوجه الفكري مُنظما ومُرتبا في لفائف وقد كان لفيف البردي بمثابة كتاب عندنا اليوم، فهو دوما يحتوي موضوعا واحدا، وتراوحت أطوال لفائف البردي.

[2]- كان الكاتب المبتدئ يكتب على ألواح من شقف من فخار أو قطع من الحجر الجيري أو ألواح خشبية تطلى بطبقة جيرية ليتمكن من إزالة النص وكتابة نص آخر.

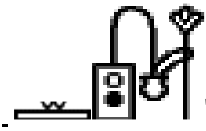
وقد تم العثور على الكثير من المخطوطات على حامل ورق البردي في المقابر والمعابد والمكتبات، وإن كانت رطوبة الوجه البحري (شمال مصر) قد آذت هذا الكنز الثمين، فقد بقيت برديات مدينة الأقصر وباقي مواقع صعيد مصر في حالة أحسن بفضل الجفاف الذي تتميّز به المنطقة.

و من حيث الحامل ، فقد بقي ورق البردي مُسيطرا في جهات كثيرة من العالم القديم بما فيها بلاد الإغريق، قبل ظهور الرّق (الجلد) في القرن الثاني قبل الميلاد، ثم الورق بعد ذلك في مطلع القرن الثاني الميلادي.(سارتون،ج،1991،-83-85)

بل ظل البردي مستخدما في مصر لغاية القرن الحادي عشر ميلادي، على الرغم من وصول الورق الصيني إلى العالم الإسلامي في القرن الثامن الميلادي. (بدوي،أ، جمال الدين،م ،1974، 191). وهكذا يمكننا القول بأن المصريين القدامى زوّدوا العالم في تلك العهود بأداة جيدة رخيصة لنشر أهم إنتاجهم الثقافي.

3-1 لوحة الكاتب (المقلمة والدواة):

استخدم الكاتب المصري للكتابة على البردي لوحة الكاتب، وهي شبيهة عندنا بالمقلمة والدواة. وكانت عبارة عن قطعة من خشب عموما ونادرا ما تكون من العاج، مركبة من جزئين، لها شكل مستطيل بها تجويفان بما يشبه دوائر التي يخلط بها المداد، أحدهما أسود والآخر أحمر وبها أيضا صندوق لحفظ الأقلام، وقد اتخذ المصريون القدامى صورة وشكل هذه المقلمة، رمزا للكلمة التي يعبرون بها على الكتابة والكاتب (Rochet,G,1992,95)

وتمثل الصورة لفيفة بردي ومقلمة عبارة عن لوحة مستطيلة يتدلى منها قلم وتقرأ «سش" أي كاتب"  (https://ar.wikipedia.org/wiki)

أما القلم، فهو تعريب لكلمة يونانية calamos، وكان الكتَبة يستخدمون ما يشبه الفرشاة، يصنعونها من البوص الذي ينمو إلى جانب البردي على ضفاف النيل. وكان الكاتب يضع أقلاما احتياطية خلف أذنه.

واستخدم المصريون القدامى ألوانا من الحبر الأسود والأحمر للكتابة، يستخرج الحبر الأسود من الكربون المتراكم على جدران في فرن الطهي ، يستخدمونه لكتابة الموضوع الأصلي ، في حين استخدموا اللون الأحمر(المغرة) وهو مستخرج من أكسيد الرصاص وأكسيد الحديد، للعناوين أو الكلمات الأولى أو أسماء الآلهة وأحيانا للتصويبات (شولتز،آ،1997، 79).

2- مؤسسات المعرفة :

أوجد قدماء المصريين مؤسسات متنوعة لترسيخ المعرفة، تخزينها ثم نشرها وقد تمثلت عموما في مؤسستين هما "بر-عنخ -دارُ الحياة" و "بر-هادجت - المكتبات" .

2-1 دارُ الحياة: بر_عنخ-Pr-Ankh

عُرفت المدرسة في مصر الفرعونية بـPr-Ankh وتُعرب "بيت الحياة أو دار الحياة ". والحقيقة أن هذا الاسم وحده كاف للدّلالة على أهمية المدرسة في المجتمع المصري وأهمية الشخص المتعلم.

كانت دور الحياة بمثابة مؤسسات تعليمية وثقافية ملحقة بالمعابد الكبرى، ولعبت دورًا حيويًا في تعليم الكَتَبة وتدريبهم، حيث كانوا يتعلمون فيها فنون الكتابة والقراءة، بالإضافة إلى دراسة النصوص الدينية والأدبية والعلمية. وقد ارتبطت "بيوت الحياة" بالآلهة المصرية المرتبطة بالمعرفة المتمثل في الإله "تحوت Thot " وإلهة الكتابة "سشات-Seshat-"، مما يعكس الأهمية الكبيرة التي أولتها الحضارة الفرعونية للعلم والتعليم، فوضعتهما تحت وصاية وحماية الآلهة.

وقد كان الشك يراود الباحثين فيما يتعلق بإمكانية وجود مدارس في مصر الفرعونية من عدمه، إلى أن تم العثور على بقايا مدرستين، الأولى ملحقة بمعبد "الرمسيوم" غرب مدينة طيبة (مدينة الأقصر حاليا)، أما المدرسة الثانية فكان موقعها ب "دير المدينة "و هي قرية العمال المكلفين ببناء وتجهيز قبور الفراعنة. وهي ليست بعيدة عن المدرسة الأولى بل قريبة منها؛ وكان لكل منهما طابعها الخاص، ويبدو أنهما كانتا متكاملتين وظيفيا. ويعتقد المؤرخون بأن "دار الحياة" الثانية كانت بمثابة مدرسة التكوين المهني عندنا اليوم، إذكانت على ما يبدو لتعليم العمال فن نحت القبور وتُكوّن الرسامين و تُعلّم الكتبة نسخ النصوص الدينية. وقد تمّ العثور بأنقاضها على ألواح للتلاميذ الذين كانوا يتعلمون فيها، فكانوا على ما يبدو، ينقلون عليها الواجبات المدرسية بما فيها من أخطاء وتصويبات المعلمين. (بدوي،أ،جمال الدين ،م،1974، 171)

2-1-1متى وأين ظهرت دور الحياة؟

يعتقد الباحثون بأن المصريين عرفوا دور الحياة منذ عهد الدولة القديمة (فيما بين القرنين 27 - 22 ق.م) وكانت موجودة حيث المعابد الكبرى.

وبالاستناد إلى المصادر الأدبية، هناك إشارات تؤكد هذا الاعتقاد، أولى إشارة تعود في تاريخها لعهد الفرعون "زوسر" (الأسرة الثالثة- القرن 27 ق.م) مفادها أن الوزير "إمحتب" استأذن الفرعون في الخروج إلى "بر-عنخ" في مدينة الأشمونين للتقصي حول قصة المجاعة التي تعرضت لها مصر على ما يبدو في وقت سابق. (صالح، ع،1966، 226)

والإشارة الثانية تعود لعهد الفرعون بيبي الثاني (الأسرة السادسة-القرن 23 ق.م)، تتمثل في مرسومين أصدرهما الفرعون لإعفاء ضاحية من ضواحي مدينة " قفط-Coptos" (حوالي 40 كم شمال مدينة الأقصر حاليا) حيث توجد "دار الحياة" من التكاليف العامة أي من الضرائب، (صالح، ع، 1966، 220)

ثم يزداد بعد ذاك، ذكر" دور الحياة " في نصوص الدولة الوسطى وعلى وجه الخصوص في عهد الدولة الحديثة، عندما تطورت الحياة الإدارية والدينية واقتضت وجود مدارس

لتعليم القراءة والكتابة والحساب وتخريج طوائف من الموظفين من دور الحياة، حيث كان الكتبة ينسخون آلاف النسخ وكان "كتاب الموتى" أولها وكان ضروريا في العتاد الجنائزي للميت، فهو بمثابة جواز السفر للعالم الآخر.

لكن عموما لا يجوز لنا أن نعتقد بأن نطاق التعليم كان واسعا في مصر الفرعونية، بل كان محدودا في المدن الكبرى فقط. ولم يكن التعليم مُتاحا لكل أبناء الشعب بل مقتصرا على أبناء الأمراء وحكام الأقاليم وكبار موظفي الدولة[1] (بدوي، أ، جمال الدين، م،1974، 176).

أما عن أماكن ومواقع تواجد دور الحياة، فإن المصادر المتوفرة (على الرغم من قلتها) تشير بوجه عام إلى أن دور التعليم كانت غالبًا تقع بجوار المعابد وكذلك ضمن المراكز الإدارية، بل يُعتقد أن كل إدارة كانت تضم نوعًا من المدارس التابعة لها، حيث كان كبار الموظفين يتولون تعليم الشباب، بهدف إعدادهم وتأهيلهم لتولي هذه المناصب مستقبلاً. (شورتز،آ،1997، 74)

وتُشير الأدلة الأثرية المتوفرة وهي نادرة، إلى وجود دور الحياة في أجزاء مختلفة من مصر وخاصة في عواصم الدولة السياسية والدينية، أما النصوص المصرية القديمة، فقد ذكرت بعض الدور الشهيرة والمهمة.

أ- دار حياة هليوبوليس (عين شمس- القاهرة) :

وهي أقدم دار حياة التي كانت بمدينة هليوبوليس، أول عاصمة سياسية لمصر الفرعونية في مرحلة ما قبل الأسرات (3200-2800 قبل الميلاد).

وتذكر النصوص بأنها كانت أعرق وأشهر تلك الدّور وأنها حافظت على مكانتها طيلة عهد الدولة الفرعونية (3200-332 ق.م)، لذلك نحاول أن نتوسع في الحديث عن أصناف العلوم والمعارف التي اشتهرت بها هذه المدرسة.

اشتهرت "دار حياة "هليوبوليس بكل أنواع المعارف، بالإضافة إلى تعليم الكتابة وتدريب الكتبة على نسخ النصوص الدينية والإدارية، بدراسة اللاهوت والفلسفة، الرياضيات والهندسة وعلم الفلك وكذلك الطب؛ حيث أن نشأة الطب كانت في الوجه البحري (الدلتا المصرية) وعلى وجه الخصوص في دار حياة هليوبوليس . (بدوي، أ،جمال الدين، م،1974، 181)، لذلك وفد اليها عدد من المفكرون الإغريق منهم "طاليس" "سولون"، "أبقراط" و" أفلاطون" على سبيل المثال.

ومن الأهمية بمكان التذكير بأن الحضارة الفرعونية ارتبط ذكرها أساسا بالمعتقد الديني الذي يُكرّس فكرة الحياة والبعث بعد الموت، ثم تطورت أكثر لما أصبح الفراعنة أبناء الآلهة. ودعت الضرورة إلى الحفاظ على أجسادهم من التحلل فنبغ قدماء المصريين مع الوقت في التحنيط. وبفضل التشريح عرفوا أجزاء الجسم المختلفة الباطنة والظاهرة و تعرفوا مُبكرا على الكثير من الخواص العلاجية لمختلف أنواع الأعشاب الطبية. وكان للطب والأطباء في المجتمع المصري القديم مكان مرموق وشأن عظيم، وليس أدل على ذلك من أن يُنسب إلى فراعنة مصر البراعة في التداوي وعلاج كل أنواع الأمراض.

وقد ذُكر في بردية" إيبرس-Ebers "، بأن ملوك الأسرتين الأولى والثانية اشتهروا بمعرفتهم الكبيرة بأسرار العقاقير وعلاج المرضى وأن أول كتاب في الطب يعود للملك "أوسافيس_دن" من فراعنة الأسرة الأولى. (سليم حسن، ج2، 2001،،336)

ويُعتقد أن هذه المعارف تناقلت من الآباء إلى الأبناء شفويا. ولما انتشرت الكتابة دوّن هؤلاء المعالجون معرفتهم في لفائف بردي، وقد أُعطيت نسخة من هذه اللفائف إلى معبد مدينة أون (هليوبوليس)، حيث علّقوها أول الأمر على أعمدة وجدران المعبد ومنها تباحث زوار المعبد مع الكهنة حول أوجاعهم وأمراضهم وكانوا يرجعون إلى البرديات المعلقة .

(الجمال، س،1994، 152-154)، ثم عمد الكهنة إلى جمع كل هذه المخطوطات الطبية والصيدلية في مؤلف واحد أطلقوا عليه اسم" كتاب الشعلة أو الكتاب المقدس". وكانوا يقولون بأنه هدية من إله الحكمة "تحوت"، وأقنعوا العامة بأصله السماوي واحتفظوا به لأنفسهم في غرفٍ وأحاطوه بسرية كبيرة .

وفي مدرسة هليوبوليس ، كان الطلبة من أبناء النبلاء وكبار موظفي الحكومة وكذلك أبناء الأطباء والصيادلة الذين يشتغلون في القصر، يدرسون مدة سنتين معارف وطب عام. وباقي المدة بين أربع و خمس سنوات كانوا يدرسون التخصص ومنه طب العيون، الأمراض الباطنية، أمراض الجلد، الجراحة وطب الأسنان؛ بالإضافة إلى دراسة بعض من اللاهوت. وكان يشترط في الطلبة السلوك الحسن وأهمية تفانيهم في خدمة الناس وحفظ الأسرار(Rachet,G,1994,186)

وفي نهاية مدة الدراسة والتحصيل العلمي كانت "دار الحياة" تقيم حفل تخرج، حيث كان الطلبة يُقسِمون قَسَما مقدسا يحتوي ما يجب على الطالب عمله نحو المرضى وأن يعالجوا الفقراء بدون مقابل وعدم إفشاء أسرار المرضى. والقَسَم بالآلهة على كتمان ما تعلموه من معرفة طبية لكي لا يتداول بين أيدي العامة فيسيئوا استخدامه، وهذا القسم على ما يبدو، نقله الطلبة اليونانيون الذين درسوا في مصر وأصبح ينسب إلى أبقراط اليوناني- Hippocrate، الذي تعلم في "دار حياة" هليوبوليس (الجمال، س، 1992،156)

والطبيب بالمصرية القديمة يعرف ب "سنوSINOU " بمعنى المُصلح والشافي؛ والظاهر أن هذه الوظيفة كانت في بدايتها دينية، إذ نجد غالبا أن صاحبها يحمل لقب طبيب وفي الوقت نفسه كاهنا. ومن مخطوط "ايبرس " وهو مصدرنا في موضوع الطب والأطباء، نعلم بأنه كان هناك نوعان من المعالجين منهم " سينو "الطبيب العارف بالكتب وله معرفة تجريبية، وإلى جانبهم وُجدت فئة أخرى من المعالجين هم كهنة الإلهة سخمت" OUABOU SEKHMET" وهؤلاء يعالجون المرضى بوسائل وتعاويذ سحرية.(Rochet, G,1992,155)

ب- دار الحياة في منفيس (شمال القاهرة حيث الجيزة حاليا) :

على الرغم من عدم وجود بقايا أثرية لهذه الدار إلا أن النصوص تشير إلى وجودها وأهمية هذه الدار مرتبط بأهمية مدينة منف وقد أصبحت العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في مرحلة الدولة القديمة (فيما بين القرنين 27 و22 ق.م)، لذلك احتضنت واحدة من أقدم دور الحياة وبها درس الوزير الطبيب الشهير "امحوتب " مهندس الهرم المدرج في سقارة.

كانت دار الحياة بمدينة منف تابعة لمعبد إله المدينة «بتاح" إله الحرفيين، مما يدل على أهمية الكتابة والعلوم في المدينة، وكانت تلعب دورًا مهمًا في الحفاظ على التراث الثقافي والديني لمصر القديمة، حيث كانت تُستخدم كمراكز لتدريب الكتبة والكهنة، لنسخ النصوص المقدسة، وتوثيق الأحداث التاريخية(بدوي،أ، جمال الدين ،م،1974، 181)

ج- دار الحياة في معبد الكرنك (مدينة طيبة -الأقصر حالياً)

لا يعتبر الكرنك من أعظم وأشهر المعابد في مصر فقط، بل في العالم القديم كله ويشبهه البعض بالفاتيكان .

ومعبد الكرنك من منشآت مرحلة الدولة الوسطى في عهد الدولة الفرعونية، ولما أصبحت مدينة طيبة عاصمة لمصر في مرحلة الدولة الحديثة(الإمبراطورية) زادت أهمية المعبد فتطور وتوسع إلى أن أصبح مُجمعا عمرانيا ومركزاً دينياً ضخما في عهد الفرعونيين سيني الأول" وابنه "رمسيس الثاني" (الأسرة 19). يضم العديد من المعابد، المسلات وخاصة الأعمدة التي يزيد عددها عن 150 عمودا، البوابات والمقصورات، وكلها عمارة جنائزية مخصصة للعبادة، أقامها فراعنة الدولتين الوسطى والحديثة طيلة ألف سنة. (بكر، م،1984، 107-108)

وقد ذكرت نصوص عديدة أنه ضمن مجمع المعابد هذا، كانت توجد "دار حياة "تابعة لإله المدينة " أمون" تم استخدامها لحفظ النصوص المقدسة الخاصة بإله الدولة آمون، كما كان مركزاً لتدريب الكهنة، وقد سبقت الإشارة إلى عثور المنقبين على ألواح تلاميذ دوّنوا عليها واجباتهم المنزلية.

د- دار حياة "تل العمارنة"

مدينة "تل العمارنة "، هي مدينة أثرية تقع بالقرب من الضفة الشرقية للنيل على بعد حوالي 306 كم، جنوب القاهرة، بناها الملك أمنتحب الرابع (أخناتون) في العام الرابع من فترة حكمه (من فراعنة السرة الأسرة الثامنة عشر حكم في منتصف القرن 14 ق.م)، لتكون عاصمة لبلاده، وأطلق عليها اسم "أخت أتون" أي أفق أتون، ولما توفي الفرعون هجرها القوم واعتبروها منبوذة فغطتها اكوام التراب لغاية استكشافها على يد الأثريين الألمان، البريطانيين و الفرنسيين .(Rochet, G,1992,25-27)

والمتعارف عليه أن نعتَ ووصفَ المدينة بالمنبوذة، كان نعمة وغنيمة كبيرة لعلماء الآثار، لأن قدماء المصريين تخوفوا من الأرواح الشريرة في المدينة المنبوذة ولم يستخدموا حجارتها في مبان لاحقة، كما هي عادتهم -نظرا لقلة الحجارة، مما مكّن وسمح لعلماء الأثار من العثور على أنقاض مدينة مصرية نموذجية بكل أجزائها من قصور ومعابد وإدارات وبالتالي فأنقاض دار حياة " تل العمارنة" هي النموذج الوحيد لدار حياة متكاملة بكل أجزائها، وبفضلها تمكن المختصون من تصوُر شكل هندسة وعمارة دور الحياة في مصر.

وقد عثر الأثريون أول الأمر على لبنات" طوب لبِن " كُتب عليها "بر-عنخ"، الأمر الذي جذب انتباه المنقبين لموقع "دار الحياة " في المدينة، فلما حفروا وجدوا الدار مُشيدة من بنائين أحداهما كبير يحتوي على الأقل على ستة غرف والثاني أصغر منه، يقعان على بعد أربعين مترا جنوب المعبد الكبير. ومع البناء الأساسي أقسام أخرى تُجاورها، منها ممرات وحوض صغير، ومن توابعها أيضا، دار سكنى رسمية (سكن وظيفي)، تتكون من بهو ورواق ومدخل وحجرة رئيسية ودرج صاعد وحجرة نوم كبيرة. (بدوي،أ، جمال الدين ،م،1974،180)

وفي ركام الموقع، تم العثور على لفائف من البردي، مما يدل على أنها كانت تحتوي مكتبة بها سجلات ووثائق إلى جانب ألواح طينية مكتوبة بالخط المسماري، تتضمن رسائل دبلوماسية بين مصر والبابليين في العراق القديم (صالح، ع، 1966، 227)

هـ-دار الحياة"سايس":

تقع مدينة "سايس" وتعرف حاليا باسم "صالحجر" على فرع رشيد الغربي من نهر النيل، في منتصف الطريق بين القاهرة والإسكندرية. تبعد عن جنوب الإسكندرية ب 60 كم، وتذكر النصوص بأن مدرسة مشهورة جدا كانت بمعبد المدينة، وقد ذكر ها مع مدرسة هليوبوليس، صاحب أشهر بردية في الطب "بردية إيبرس"، إذ يبدو أن كاتبها درس في مدرستي هليوبوليس وسايس، لما لهاتين المدرستين من شهرة في مجال الطب والصيدلية. (Rochet,G,1992,156)

واستنادا للنصوص نتبين بأن "دار حياة "مدينة سايس، تميزت بمكانتها المرموقة في مرحلة العصر المتأخر من تاريخ الدولة الفرعونية وخاصة لما أصبحت المدينة عاصمة سياسية (664-525 ق.م)، إلا أنها حافظت على مكانتها الرائدة لغاية سقوط الدولة الفرعونية واحتلالها من طرف الفرس واليونانيين فيما بعد.

وتذكر النصوص بأن بنايات "دار حياة سايس" لحقها الكثير من الضرر أثناء التهديم الذي طال المدينة خلال احتلال الفرس للبلاد سنة 525 ق.م، وأن الملك الفارسي" قمبيز " أخذ أشهر أطبائها المدعو "وزهور Wazahour"- إلى عاصمته في فارس (الجمال،س،1994، 162)، غير أن خليفته الملك الفارسي" داريوس " أعاد الطبيب الى مصر وطلب منه إصلاح ما تم تهديمه في هذه الدار. (صالح، ع،1966، 223)

و- دار الحياة الرمسيوم :

الرمسيوم ،هو المعبد الجنائزي للفرعون "رمسيس الثاني " بالمقبرة وخُصص لعبادة الفرعون، يقع على الضفة الغربية لمدينة طيبة (الأقصر حاليا)، وبجانب المعبد عثر المنقبون على أدلة تثبت وجود "دار حياة" ضمن مجمع المعبد، منها مخطوطات طبية شهيرة منها بردية هاريس(سوف نتكلم عنها لاحقا)، وبذلك تبيّن للباحثين بأن هذه الدار كانت مركزًا مهمًا لتحصيل العلم والنسخ .(بكر ،م،1984 ، 114)

وعلى الرغم من عدم وجود بقايا أثرية إلا أن النصوص تشير الى وجود دور حياة أخرى بعيدا عن العواصم السياسية السابق ذكرها، منها ما وجد في أسوان، أبيدوس، أسنا وأدفو، وكل واحدة منها تابعة لإله المدينة ولعبت دورا مزدوجا في حفظ وتخزين الوثائق بالإضافة إلى دورها التعليمي.

2-1- 2 دَورُ"دور الحياة " في نشر المعرفة

تكثر المعلومات عن دور الحياة وثقافة رجالها، إذ كان يُفترض فيهم الإلمام بأمور الدين والعلوم والسحر وفنونه، فيقصدهم العامة من الناس للاستفسار في مجالات عدة، وقد وردت نصوص مفادها أن الفراعنة كانوا يستدعونهم كلما واجهتهم مشاكل يستعصي حلّها.

ونلخص مهام رجال دور الحياة فيما يلي:

أ- كان الكهنة والكتّاب، هم الفئة الأساسية التي تتعامل مع النصوص المكتوبة، حيث عملوا على تسجيل الأحداث ونسخ الكتب وإدارة السجلات الحكومية، وكانت وظيفة كاتب في تاريخ مصر الفرعونية، وظيفة مرغوب فيها، في دولة اعتمدت فيها الإدارة على السجّلات مثل مصر الفرعونية، حيث كان الكاتب سيّدا والقيام بهذه المهمة شرفا. وقد شاع أن صنع الأمراء تماثيل لهم في صورة الكتبة؛ ومن الامتيازات الكثيرة التي حصل عليها الكاتب، أنه كان مُعفى من الضرائب (بوزنر، ج، 2001، 280). بل تذكر النصوص بأن الكتابة هي المهنة التي وصلوا بها إلى المراكز المرموقة ذات النفوذ (سليم حسن ،ج398،2001،2).

ب- بالإضافة الى النسخ وتخزين المخطوطات، لعبت دُورُ الحياة دورا جوهريا في نشر المعرفة ونقل المعارف، إذ كانت تُستخدم كمراكز تعليمية، حيث كانت المعرفة تُنقل عبر الأجيال من خلال نظام تعليمي صارم، يعتمد على نقل الخبرات من المعلمين إلى التلاميذ. ونتيجة لمعارفهم الغزيرة، ساهم كتبة "دار الحياة" في مجال التعليم والتثقيف، باعتبار دارهم معهدا عاليا أو

أكاديمية. وتجسد نشاطهم التعليمي في مجالات معينة منها الآداب، اللاهوت، المعارف العامة و الطب.

وقد اتّخذ منهم الفراعنة معلّمين لأبنائهم، وكثيرا ما صادفنا في النصوص القديمة لقب "معلم أبناء الملك "و" من يعرف أداب القصر " أي ما نسميه اليوم بالبرتوكول، إضافة الى كونه عالم بالعقاقير فهو ينقل معارفه في هذا الشأن لتلامذته (صالح، ع، 1966، 114)

ج- ذكرت النصوص بأن "دُورُ الحياة" كانت تحتوي على قسم خاص يسمى بيت "العقاقير والأدوية "، مما يؤكد أن تعليم الطب والصيدلة كان ساريا في دور الحياة. وكان من الضروري دراسة النباتات والأعشاب ومختلف أجزاء الحيوانات التي تدخل في تركيبة العقاقير، وكانت ملحقة بها أيضا حديقة كبيرة تُزرع بها أنواع الأعشاب والنباتات الطبية (الجمال ، س، 1994، 161) .

د- وفي هذا المقام، نستشهد بنص لرئيس الأطباء" وزاحور سنو"- الذي أخذه الملك الفارسي الى بلاده نظرا لشهرته وسعة علمه - (سبقت الإشارة إليه)، فهو يلخص مهام "دار الحياة" فيقول: أنه زوّد دور الحياة بكل دارسيها (بكل هيئتها وأهل الكتب فيها) من علية القوم، دون أن يكون بينهم ابن وضيع وأنه جعلهم تحت إشراف كل ذي معرفة (حتى يتعلموا) منهم فنونهم جميعها". (صالح، ع، 1966، 224، 226)، أي أنه كان بدور الحياة مُعلمون ومُتعلمون يدرسون الآداب والفنون والمعارف والعلوم، وكانوا معلمين ومؤلفين وناسخين.

هـ- وتجدر الإشارة إلى أن بعض كَتبة دار الحياة، جمعوا بين الوظيفتين الدينية والمدنية (مهنة التعليم). ونتبن ذلك من خلال بعض الألقاب الدينية ومنها، كاهن تحوتي في دار الحياة، الكاهن الأعلى لدار الحياة، الكاهن الأول لدار الحياة. والعارف بتاريخ وحضارة مصر الفرعونية لا يستغرب الأمر، لأننا لا نستطيع الفصل بين الدين والدولة وأن سلطة الفراعنة قائمة أصلا على ادعاء الألوهية التي ساندها الكهنة.

2-2 المكتبات-(pr-md3t – بر-ما دجت)

كان ظهور المكتبات في مصر الفرعونية عبارة عن الحلقة الأخيرة لسلسلة من الابتكارات والإنجازات في سبيل توثيق المعرفة، حفظها ثم نقلها عبر الأجيال. وتعرف المكتبة بالهيروغليفية باسم (pr-md3t – بر-ما دجت) ومعناه بيت أو دار الكتب، أما الكتاب فعادة كان عبارة عن لفة بردي، وإذا كان الموضوع المطروق واحدا، تربط اللفائف في حزمة واحدة وتوضع في صناديق أو جرار فخارية.(Rochet, G, 1992,54)

ومن الأهمية بمكان التمييز وعدم الخلط بين المكتبات في الدولة الفرعونية وبما كان شائعا بعد ذلك في العصر الوسيط أو الحديث، أو حتى أواخر العصر القديم، لما ظهرت مكتبة الإسكندرية بأسلوبها الحديث آنذاك، لكننا نُنوِّه في نفس الوقت بأن المسؤولين الذين أنشأوا مكتبة الإسكندرية قد اعتمدوا بالضرورة على ما كان متعارفا بينهم من ماضي تخزين الكتب في مصر الفرعونية، وأن مكتبة الإسكندرية كانت تُعبر عن تطور تقاليد كيفية حفظ المعرفة في مصر اي المخطوطات.

لذلك يمكننا القول بل التأكيد على وجود بداية مُبكرة ومحتشمة في مصر الفرعونية، لمواقع وأماكن كانت تقوم بنفس الغرض الذي تقوم به المكتبات حاليا، أي تخزين وحفظ المخطوطات، وأن الكتبة والدارسين والعلماء، كانوا يتنقلون إلى مثل هذه المواقع بحثا عن ضالتهم. وقد سبقت الإشارة لأمثلة، منها قصة الوزير والطبيب "امحتب" (عاش حوالي 2650قبل الميلاد) الذي استأذن الفرعون لمراجعة كتاب بمعبد الأشمونين (صالح ، ع، 1966، 226)

وبالاستناد إلى النصوص القديمة، يمكننا الفصل بين نوعين من المكتبات في مصر الفرعونية، النوع الأول هو المكتبات الخاصة أي ملكيات شخصية، تواجدت في قصور الفراعنة والوزراء وعليّة القوم، أما النوع الثاني فهي التي تواجدت داخل المعابد وهي التي يمكننا أن نسميها مكتبات عامة وكانت أكثر عددا وشهرة من الأولى.

كانت هذه الأماكن بمثابة مراكز مهمة لحفظ وتخزين الوثائق والمخطوطات، لذلك تردد عليها الدارسون للبحث عن كتب في مختلف أنواع المعرفة والعلوم، وكانت المخطوطات أو لفائف البردي تحفظ في صناديق محكمة وموضوعة في فتحات في جدران المكتبة الملحقة بدار الحياة التابعة للمعبد ، وكان للمكتبة أمناء، مسؤوليتهم الأساسية هي تنظيم الكتب ومساعدة القراء، (الجمال،س، 1994، 169) ، علما أن فئة مُعيّنة فقط في مصر الفرعونية، كانت مُتعلمة وهم أبناء الطبقة النبيلة من أمراء، كهنة، قادة وأبناء كبار موظفي الدولة.

2-2-1-المكتبات الخاصة:

تدل الدراسات أن قيام المكتبات الخاصة بالملوك والوزراء والكهنة، سبقت وجود المكتبات العامة الملحقة بالمعابد، حيث أكدت الأبحاث أن الصفوة في دولة الفراعنة، كانوا يمتلكون مكتبات وكانت بدايات هذه المكتبات عبارة عن مجموعة من المخطوطات (الكتب) يحتفظ بها النبلاء والملوك في قصورهم، وكان يُخصص لهذه اللفائف والوثائق الدينية والدنيوية غرفة في القصر، وهي في العادة في خِدمة جماعة مُعينة من الناس أي يستفيد منها مُحيط صاحب المكتبة، كما كانت تستخدم كقاعة ومقر لتعليم أبناء صاحب المكتبة.

2-2 -2 المكتبات العامة :

كانت المعابد الفرعونية بمثابة مستودعات حقيقية للمعلومات التاريخية، لأن طبيعتها كبنايات مقدسة-من حيث المبدأ- لا تنتهك هذه القداسة لا من طرف الشعب ولا الحكام، مما جعل هذه المؤسسات تقدم ضمانات بشأن الحفاظ على البضائع والوثائق المودعة فيها.

و قد احتوى هذا النوع من المكتبات مخطوطات ذات صبغة رسمية ؛ هناك وثائق متصلة بإدارة وتنظيم ممتلكات المعبد، غالبًا ما تكون في شكل مراسيم ملكية؛ وثائق عبارة عن قوائم القرابين والأطراف التي تبرعت بها لآلهة المعابد، سواء كانوا حكاما او من الأغنياء، كما كانت تضم قوائم طويلة تُخلد أعمال و إنجازات الملوك، وإضافة لهذا النوع من

الوثائق ، كانت هذه الفضاءات تحتفظ أيضا بمخطوطات لا تقل أهمية وهي تلك المتضمنة أسرار العلوم والمعرفة بكل انواعها (García, J. C.M 2020)

ومن أهم مكتبات المعابد التي ذكرتها النصوص القديمة، نذكر أشهرها وهي مكتبة معبد "الرمسيوم" و"مكتبة معبد أدفو". كما وُجدت مكتبات أخرى في معبد " منف"، مكتبة معبد" أبيدوس" ومكتبة معبد " تانيس"، أما مكتبة معبد مدينة "هليوبوليس" فقد كانت أقدم المكتبات على الإطلاق في مصر.

أ- مكتبة معبد الرمسيوم:

وهي إحدى أشهر المكتبات العامة في مصر الفرعونية، توجد هذه المكتبة المرتبطة بالفرعون رمسيس الثاني (القرن 13 ق.م)، في معبده الجنائزي المعروف باسم الرمسيوم غرب مدينة طيبة (الأقصر)، وقد ذُكرت هذه المكتبة في نصوص مصرية ويونانية. وكان من حسن حظ علم الآثار، أنه تمّ العثور عليها في أواخر القرن 19م. على يد عالم الآثار "جيمس إدوارد كوبيل"، وتعتبر بقايا هذه المكتبة النموذج الوحيد حول هندسة «بر - مدجت" أي دار الكتب.

كانت بناية المكتبة عبارة عن قاعة رئيسية رُفع سقفها على ثمانية أعمدة، والسقف مُزين بمناظر فلكية ضخمة. احتوت على عدد كبير من البرديات التي تناولت مختلف مجالات الحياة، وفي مدخل المكتبة نُصّب تمثال الإلهة "سشات" إلهة الكتابة والإله "تحوت" إله الحكمة، وإلى جانبهم تمثال الفرعون رمسيس الثاني يحملون كلهم أدوات الكتابة. (الجمال،س،1994، 167).

ب- مكتبة مدينة إدفو :

توجد هذه المكتبة في معبد الإله حورس بمدينة أدفو (شمال مدينة اسوان) وهي واحدة من أشهر المكتبات الدينية في حضارة قدماء المصريين. عثر المنقبون على واجهة هذه المكتبة نقشا كبيرا يمثل لوحة الكاتب، وعلى أحد جدران القاعة تمّ نقش أقدم (كتالوج في تاريخ

المكتبات على الإطلاق) و هو عبارة عن فهرس بجداول مُدون عليها مقتنيات هذه القاعة (المكتبة) من مخطوطات تتناول موضوعات متعلقة بالفلك، والديانات والعلوم الأخرى. (Rochet,G,1992,55)



العنصر	بر-عنخ (دار الحياة)	بر-مادجت (دار الكتب)
الوظيفة الأساسية	التعليم + النسخ + البحث + الحفظ المؤقت للمخطوطات	حفظ المخطوطات وتنظيمها
الهيكل البنائي	مبنى مستقل عن المعبد يحتوي عدد من الغرف وبه سكن وظيفي	قاعة واحدة داخل المعبد أو القصر
الاستخدام	معهد تدريبي وعلمي شامل	مكتبة لحفظ المخطوطات
المستخدمون	الكهنة، الكتبة، الطلاب، الباحثون	أمناء المكتبة، الكهنة، النخبة المثقفة
التشبيه العصري	كلية أو معهد مع مكتبة	مكتبة وأرشيف

3- مصادر المعرفة (المخطوطات)

يعرّف المخطوط بأبسط معانيه أنه المكتوب باليد في أي نوع من أنواع المعارف سواء كان على ورق أو على أيه مادة أخرى كالحجارة أو الألواح الطينية أو الجلود أو غيرها. والمخطوطات في مصر الفرعونية هي التي كتبت على ورق البردي؛ وقد اخترت مخطوطتين لما لهما من أهمية من الناحية التقنية والمعرفية: مخطوط في تخصص الطب وقد عرفت مصر الفرعونية سبقا في مجال الطب والتشريح لصلته الوثيقة بمعتقد الخلود في العالم الآخر، أما المخطوط الثاني فميزته كونه أطول مخطوط تمّ الكشف عنه لحد الساعة.

1-3 مخطوط إيبرس- Ebers

تمّ اكتشاف هذا المخطوط سنة 1862من طرف أحد سكان مدينة الأقصر الذي باعها للألماني جورج إيبرس سنة 1872 ومن ثمة عُرفت باسمه. تعتبر أطول وأهم بردية في مجال الطب ، (سارتون،ج،ج1، 1991 ،113-114)،وهي محفوظة في مكتبة جامعة "ليبزغ" الألمانية. ويدل حسن خط الكتابة على الأهمية الكبيرة التي روعيت بها، فالموضوع الأساسي مكتوب بالمداد الأسود في حين كُتبت رؤوس الموضوعات وبعض التصويبات بالمداد الأحمر. والمخطوطة مكتوبة بالهيراطيقية، تحتوي على تعليقات على بعض الوصفات الطبية، فتصفها بأنها جيدة أو مُجرّبة وثبتت فائدتها، لذلك يفترض أن المخطوطة كانت بمثابة مرجع للأطباء الممارسين.

أما عن تاريخ كتابتها فيُعتقد أنها تعود لسنة 1550 ق.م، إذ أنها مؤرخة بالعام التاسع من حكم الفرعون "أمنحتب الأول" (ثاني ملوك الأسرة 18) (الحباطي،م، 2022، 159). لكن يبدو أنها أُخذت من نسخة قديمة، لأن المخطوطة تضمنت ما يفيد أنها منسوخة من كتاب قديم عنوانه " الكتاب السري للطبيب" وأيضا لأنها تذكر وصفة علاج تساقط الشعر لوالدة الملك تيتا (ثالث ملوك الأسرة الأولى) (الجمال، س،1994، 202) ،. تمت ترجمة المخطوطة إلى اللغة الألمانية سنة 1913، ثم الى الإنجليزية سنة 1937.

يبلغ طول المخطوطة 20.33 مترا وعرضها 30 سنتيمترا. مضمون النص متكون من 108 أعمدة (جداول) ب 20 الى 22سطرا. اشتملت على 877 وصفة طبية لأنواع متعددة من الأمراض أو أعراضها وذُكر فيها ما يقرب من 400 عقارا. كتبت العناوين والتركيبات الطبية بالمداد الأحمر، للفصل بينها وتسهيل مهمة القارئ لها، ويبدو واضحا أن الكاتب كان يصوّب الخطأ أو الكلمة التي ينساها على السطر، وإن كان المكان ضيقا يضع رمز (X) ويُصحح أعلى الصفحة أو أسفلها وبها الكثير من الرسومات التوضيحية (الحباطي، م، 2022،174-175)

ترتيب نص المخطوط: يبدأ المخطوط بأدعية للآلهة تقرأ قبل العلاج الطبي لتقوية مفعوله، ثم يأتي ترتيب الوصفات الطبية طبقا للأجهزة المختلفة في جسم الإنسان: الأمراض

الباطنية، أمراض العين، الأمراض الجلدية، أمراض الأطراف، أمراض الرأس، أمراض اللسان والأسنان والأنف والأذن، المساحيق و أمراض النساء.

فائدة المخطوط

رغم الطابع السحري والديني في بعض الوصفات، إلا أن المخطوط يظهر محاولات مبكرة لفهم الأسباب الطبيعية للأمراض وكيفية علاجها؛ وتعتبر المخطوطة الوحيدة التي تبدأ بتشخيص المرض ثم تتبعه بوصفة العلاج، وتُعد موسوعة طبية شاملة فهي تغطي مجموعة كبيرة من الأمراض. ويُعتقد أنها كانت بمثابة مرجع للأطباء المتمرسين، فهي تفيدهم بمرجعية في كيفية التداوي بالنباتات والعقاقير وكانت سابقة لبقية الأمم اللاحقة بها في هذا المجال.

وعلى الرغم من الخلط الكبير في أقسام المخطوط، إلا أن سارتون يجد لذلك عذرا، فالمخطوط حسب رأيه يُعد أقدم كتاب في الطب وأنه وُضع ليستدل به الأطباء، فهو يعود لستة وثلاثين قرنا قبل ميلاد المسيح.[1](سارتون ،ج،ج1، 1991، 115).

2-3 مخطوطة هاريس- Harris-

يُعرف المخطوط باسم "هاريس" نسبة لصاحبه الإنجليزي" هاريس". تم العثور عليه سنة 1855 في مدينة الأقصر، وهي معروضة الآن بالمتحف البريطاني تحت رقم EA9999 في حالة جيدة. ، يبلغ طول المخطوطة 40.5 م، وعرضها 42 سنتيمترا؛ ويعد بذلك أطول مخطوط على الإطلاق، كُتبت بالهيراطيقية في 117جدولا (عموديا) وهي لا تتوفر إلا في نسخة أصلية بالغة الأهمية كما يعتقد جاردنر (جاردنر، آ، ط2، 1987، 321)

ويعتقد الدارسون بأن تاريخ المخطوط مُدوّن في أوله وهو العام 32، الشهر الثالث، فصل شمو، اليوم السادس من حكم رمسيس الثالث، أي تسعة أيام قبل وفاة الفرعون. وأن خليفته جلس على العرش 15 يوما بعد ذلك (Menu,B,1996,291)

وتذهب الباحثة " برنادات موني - Menu . B " بأن " بول هاريس" صاحب المخطوط يعتقد بان كتابته تعود إلى ما بعد وفاة رمسيس الثالث مباشرة وأن ابنه رمسيس الرابع هو الذي أمر بكتابته كنوع من الدعاية للعائلة المالكة ، وقد اشترك فيها مجموعة من الكتّاب، كل واحد كتب جداول الهبات الخاصة بمعبد طيبة وآخر يخص معبد منف، ثم معبد هليوبوليس، وليست من طرف كاتب واحد فقط، وأمر بتعليقها على جدران المقبرة ليطّلع عليها الكهنة والساسة وقادة الجيوش. وتكون بذلك عبارة عن إثبات شرعيته في الحكم، نظرا للظروف الحرجة التي مر بها وفاة رمسيس الثالث وجلوس رمسيس الرابع على العرش , ومن تقاليد دولة الفراعنة أن المعابد و الكهنة يقع على عاتقهم مسؤولية الحفاض على الاستقرار وتثبيت سلطة العائلة المالكة ، التي وهبتها بالمقابل وطيلة فترة حكمها الكثير من العطايا و الهبات المتنوعة (Menu,B,1996,296-297) .

أما عن موضوع المخطوطة فهو عبارة عن قائمة هبات الفرعون رمسيس الثالث لآلهة مصر المختلفة ويأتي على رأسهم الآلهة الثلاثة الكبرى، الإله" أمون رع" الإله الرسمي للدولة الحديثة، الإله "اتؤم رع حور اختي" الاه مدينة هليوبوليس و الإله" بتاح " إلاه مدينة منف (العقون ،أ،24،2009)، وقد ترجم عالم المصريات الأمريكي جيمس هنري برستد(1935-1865)، المخطوطة في كتابه الرابع ، الفقرات 151-412 (Breasted, J-H ,V4,1906-1907, 87-206)

1-2-3 أقسام المخطوطة:

مقدمة المخطوط وجاء فيها، اسم الفرعون وألقابه، تاريخ الكتابة، الأعمال الخيرية التي قام بها الفرعون

القسم الأول: من الصفحة 2الى 23، قائمة مفصلة للهبات التي قدمها الفرعون لمعابد مدينة طيبة ومعبدين آخرين أحدهما في فنيفيا والآخر في النوبة، وكان لمعبد مدينة هابو حصة الأسد؛

القسم الثاني: من الصفحة 24الى الصفحة 42، يخص الهبات التي قدمها الفرعون لمعبد مدينة هليوبوليس، وفي آخر القسم تضرّعات من الفرعون للإله ليُقر ويَسند ولي عهده "رمسيس الرابع " إلى عرش آبائه.

القسم الثالث: من الصفحة 43الى 56، يخص مدينة منف المركز الرئيس للإله" بتاح"، ويحتوي قائمة الهبات، ثم صورة للفرعون يتذرع للإله، وبعدها دعوات لابنه وليّ عهده.

القسم الرابع: من الصفحة 57الى الصفحة 66، وفيها رتب الكاتب معابد مصر الثانوية حسب ترتيبها جغرافيا من الجنوب الى الشمال وفيه قوائم الهبات.

القسم الخامس: ملخص الهبات وهذا مُتضمّن بالصفحات من 67 الى 74، وهذا القسم من المخطوط مُهم جدا لأنه يُلخِص الإحصائيات المفصلة التي سبق أن قدمها لكل معبد في الأقسام الأربعة السابقة الذكر(العقون،أ،27،2009).

القسم الأخير: وهو القسم التاريخي ويبدأ من الصفحة 75 والى غاية آخر صفحة 79، ختم به الفرعون هذا المخطوط الطويل بأعماله العظيمة التي عملها من أجل مصر (Breasted,J.H,,v4,1906-1907,92,)

أما آخر ما خُتم به المخطوط ، حسب رأي عالم المصريات الأمريكي "جيمس هنري برستد " ، سواء كان الكاتب هو رمسيس الثالث أو ابنه رمسيس الرابع، فهو الدعاء الأخير، لتكون الآلهة مُخْلصة مساندة لوليّ العهد رمسيس الرابع(Breasted,J.H,v4,1906- 1907,205)

2-2-3 الأهمية التاريخية للمخطوط

تعتبر مخطوطة "هاريس" أهم مصادر تاريخ الأسرة العشرين في مصر، إذ تُلقي كثيرا من الضوء على المسائل الاقتصادية والدينية والسياسية، لأنها تُصور لنا نظام إدارة المعابد والأحداث التاريخية بصورة جلية. ونتبيّن من خلالها أن فراعنة مصر شعروا بقوة وسلطان

كهنة إله الدولة "أمون "، خاصة بعد فشل دعوة أخناتون الإصلاحية، فسعوا الى تقوية هذا النفوذ أكثر من أي وقت مضى.(العقون،أ،25،2009)

وفي الأسرة المصرية العشرين ، تصدى لها الفراعنة واستعملوا كل السبل ومنها أن لجأ الفرعون "رمسيس الثالث" إلى توزيع مظاهر عقيدة "أمون" على كل آلهة مصر، بهدف محو فكرة أن "أمون" هو الإله الأكبر مثلما كان ساريا في الأسرتين 18و 19. غير أن شواهد الأحوال أظهرت فيما بعد، بأن سلطة كهنة" أمون "زادت قوة ونفوذا، وأن الفرعون رمسيس الثالث وإن نجح في انتصاراته العسكرية الخارجية، فإنه لم يُوفق في حلّ مسائله الداخلية وتقليص نفوذ الكهَنة. بدليل أن الأرقام التي وردت في مخطوطة "هاريس" بيّنت بأن الإله "أمون" وحده ، كان يستحوذ على ثلثي أملاك الآلهة مجتمعة من الأراضي الزراعية ، التي تضاعفت في عهد الفرعون رمسيس الثالث وزادت عن 30 ألف هكتار . كما استولى كهنة أمون على حصة الأسد من مُدخّرات المعابد من الذهب والتي قُدرت ب ثمانية أطنان (8000 كغ) . أما عدد الناس الّذين هم في خدمة معابده وأراضيه الزراعية ، فقد بلغ أكثر من مائة ألف من البشر(107 آلاف شخص)، أي ستة بالمئة من سكان مصر [3] [1]. وتعلّق الباحثة " برنادات موني " بأن هؤلاء الأشخاص هم القادرون على العمل، لكن يجب أن نحتسب معهم أُسرهم ،أي أنهم كلهم ساهموا في خدمة الإله أمون .(Menu,B,1996,292)

بل إ ن نفوذ كهنة آمون تضاعف وتهاوت أجهزة دولة الفراعنة الى أن استقل كهنة أمون عن سلطة الفراعنة الحكام الشرعيين وأسسوا الأسرة 21 في النصف الجنوبي من مصر (الصعيد)؛ وكان على رأسها الكاهن الأعلى للإله أمون المدعو "حريحور ". وكان وراء هذا الانفصال، استخدام الثروة الطائلة التي جناها الكهنة طيلة أسر الدولة الحديثة (الأسر 18-19-20).(Breasted, J.H, v4,1906-1907,295).

3- يرجى مراجعة التفصيل في هذه الهبات من مقال العقون ،أم الخير :من المخطوطات المصرية القديمة "بردية هاريس"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلد5، العدد6،2009، ص27

من ناحية أخرى، تتجلّى القيمة التاريخية للمخطوطة ، إذ أن نهاية الفرعون رمسيس الثالث كانت(كارثية)، فقد تعرض لمؤامرة من طرف زوجته الثانوية "تي" التي سعت لجلوس ابنها »بنتاور"على كرسي العرش. في حين أن التقليد المصري يعطي هذا الحق لابن الزوجة الرئيسية فقط؛ لذلك تآمرت مع الوزير والكهنة والموظفين السامين لاغتيال الفرعون و هذا ما يعرف في النصوص التاريخية بمؤامرة الحرايم (Fevre,F,1992,195-202)

والدارسات لم تحسم سبب وفاته ، فان كان جثمانه خال من كل ما يشير الى القتل بالسيف وما شابه، فإن إمكانية استخدام السم تبقى واردة (Menu,B,1996,293).

لذلك يمكن اعتبار أن المخطوطة ذات صبغة دعائية من طرف الوريث الشرعي "رمسيس الرابع " الذي فصل في ذكر فضل جده "ست نخت" في إنقاذ مصر من ثورة داخلية وانشاء الأسرة العشرين. ثم خلد انتصارات والده "رمسيس الثالث "الخارجية وكونه بطبيعة الحال خير خلف لخير سلف.(Fevre,F,1992,37)

خاتمة:

في ختام الدراسة، نعرض النتائج التي توصل إليها البحث مرتبة على النحو التالي:

_ اعتمدت مصر في تقدمًها وتطورها في مجالات المعرفة والعلوم على منظومة معرفية متكاملة شملت أدوات ومؤسسات لتوثيق، تخزين وتطوير ثم نقل المعرفة.

_ توثيق المعلومة، يُعد اختراع الكتابة اللبنة الأساس في عملية، توثيق، تحصيل ونشر المعلومة، فهي من أعظم ما قام به المصريون القدامى للحضارة البشرية. ومع مرور الوقت، ابتكروا الكتابة الهيراطيقية، التي سهّلت تدوين النصوص الطويلة، وقد زاد للأمر أهمية، باختراع آخر ألا وهو إيجاد مادة صالحة للكتابة أي ورق البردي.

_ نشر المعلومة وتوسيع استخدامها، بعد أن دّون المصري القديم معارفه، أوجد مُبكرا المدرسة "دار الحياة- برعنخ ". وقد لعبت دورا جوهريا في نشر ونقل المعارف، إذ كانت

تُستخدم كمراكز تعليمية، بالإضافة الى نسخ وتخزين المخطوطات. وانتشرت هذه المدارس في معابد كل العواصم السياسية والدينية لدولة الفراعنة.

_تخزين مصادرالعلوم والمعارف، كان تطور الحضارة الفرعونية قائما على الكم المعرفي المدوّن في المخطوطات على البردي التي كانت في زمنها بمثابة الكتب. لذلك احتفظ بها الكتبة - ألفي سنة قبل الميلاد على أقل تقدير -في جرار وصناديق خشبية أو رتّبوها في فتحات الجدران ونظمها بهدف تسهيل عملية الرجوع إليها عند الحاجة. وبالتالي يمكننا القول إن مكتبة الإسكندرية، أشهر وأقدم مكتبة في التاريخ القديم، تُعبّر بكل صدق عن تطور تقاليد كيفيَة حفظ المعرفة في عهد مصر الفرعونية.

_مؤسستان لتخزين المخطوطات، تذكر النصوص القديمة بأن المخطوطات في مصر الفرعونية كانت تحفظ وتُخزن في مؤسستين يجب عدم الخلط بينهما.

- المؤسسة الأولى هي "برعنخ _دار الحياة"، فبالإضافة إلى مهمة تعليم القراءة والكتابة وتدريس العلوم المختلفة، كانت مركزا لتخزين المخطوطات؛ وعلى ذلك يمكن اعتبار هذه المؤسسة مزيجًا بين المدرسة والمكتبة وهي بناية مستقلة خارج المعبد.

-المؤسسة الثانية هي "بر-مادجت_ دار الكتب" أو "دار الوثائق" وهي نوعان: خاصة وهي عبارة عن قاعة واحدة من قاعات القصر، تستخدم لتخزين المخطوطات وقد يستخدمها صاحبها أيضا كقاعة درس وتعليم لأبنائه. ومكتبة عامة، هي عبارة عن قاعة داخل المعبد، تكانت تخصص لتخزين المخطوطات بأنواعها الدينية والمعرفية وتستفيد منها شريحة أوسع من تلك التي تستفيد من المكتبات الخاصة.

5_ يبدو جليا في هذه المنظومة المعرفية أن الفئة الأساسية التي تتعامل مع النصوص المكتوبة هم الكهنة والكتبة. وكانت وظيفة "كاتب" في مصر الفرعونية وظيفة مرغوب فيها،

والقيام بها شرف؛ وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من القائمين على "دور الحياة" أو " دور الكتب"، جمعوا بين الوظيفتين الدينية والمدنية.

والعارف بتاريخ وحضارة مصر الفرعونية، لا يستغرب الأمر، لأننا لا نستطيع الفصل بين الدين والدولة، لأن سلطة الفراعنة قامت أصلا على ادعاء الالوهية التي ساندها الكهنة.

قائمة المراجع:

بدوي، أحمد؛ جمال الدين مختار، محمد . تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ج1 العصر الفرعوني . القاهرة .الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

بكر، محمد إبراهيم. صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم . القاهرة : دار المعارف، 1984.

https://jslmf.journals.ekb.eg/article_245640_4ba0d9b8a24df1536f498909a4ec51a6.pdf.

بوزنر، جورج، وآخرون . معجم الحضارة المصرية القديمة. تر. أمين سلامة و سيد توفيق. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2001.

جاردنر ، مصر الفراعنة ،تر نجيب إبراهيم ميخائيل، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ،1987ص 321

الجمال، سمير يحي . تاريخ الطب والصيدلة في مصر الفرعونية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994.

الحباطي، محمد خميس السيد. "البرديات الطبية ف مصر الفرعونية : دراسة في علم الكوديكولوجيا"، المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات ، مجلد4، عدد11، ص.ص 149-179، يوليو، 2022.

العقون، أم الخير. " من المخطوطات المصرية القديمة "بردية هاريس «، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلد5، العدد6، ص.ص21-.31،2009

حسن، سليم. مصر القديمة، ج7 ، عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية . القاهرة: مكتبة الأسرة ، 2001

حسن سليم، مصر القديمة ،ج2، في مدنية مصر وثقافتها القديمة في العهد الأهناسي. القاهرة : مكتبة الأسرة، 2001.

سارتون، جورج. تاريخ العلم، ج1 " العلم القديم في العصر الذهبي، الأصول الشرقية واليونانية ". تر: مجموعة من الأساتذة منهم محمد خلف الله. القاهرة: دار المعارف ،1991. ".

شورتر، آلن. الحياة اليومية في مصر القديمة. تر. نجيب ميخائيل إبراهيم، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

صالح، عبد العزيز . التربية والتعليم في مصر القديمة. القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966.

Breasted (J.H). Ancient records of égypt. Historical documents, volume4 « The Twenteith to Twenty -six th dynasties » Chicago : The university of Chicago press. 1906-1907.

Fevre (F), Le dernier pharaon, « Ramsès III ou le crépuscule d'une civilisation », Paris, Presse de la renaissance. 1992 .

Rochet (Guy). Dictionnaire de la civilisation égyptienne. Larousse,1992.

Menu (Bernadette), Grandet Pierre, Le Papyrus Harris,in : Dialogues d'histoire ancienne, 1996 22-2, p.p. 291-298.

https://www.persee.fr/doc/dha_0755-7256_1996_num_22_2_2726. Consulté le 22/02/2025

García, Juan Carlos Moreno. L'Egypte pharaonique : source et genre. Paris, Presses de l'INALCO, p.p. 559-569.

https://books.openedition.org/pressesinalco/24397?lang=fr. Consulté le 26/3/2025 .